مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٣) العدد (٢)
الإصدار التاسع
٢٠٢٢ (١٩٥-١٨٠)

بؤس الفقراء وفقر البؤساء (شاعريّة صعلكة المهجر أنموذجا)

جهاد فيض الإسلام
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربيّة وآدابها بجامعة طهران
البريد الالكتروني: feyzoleslam@ut.ac.ir

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٧ يونية ٢٠٢٢م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخّص

تُعد ظاهرة البؤس والتصعلك وما ينتج عنها الشغل الشاغل لكثير من الباحثين في العالم وخصوصاً في المجتمعات ذات الاقتصاد السيّء، حيث تزداد المشكلة تعقيداً في كل يوم يتصدّى البحث لدراسة شاعريّة صعلكة المهجر في رؤية وفكر الشعراء، الذين تعرضوا لهذه الظاهرة المبعثرة، والتي ظهرت على شعرهم اصطبغ بها وكذلك أثرها في نفوسهم وتجاربهم الأدبيّة، وشاعريتهم بشكل عام، ومقارنة هذه الظاهرة مع صعلكة وبؤس بعض العصور المنصرمة بما فيها العصر المبدع لها وأقصد به العصر الجاهلي، لتخرج الدراسة بنتائج ملموسة تلفت انتباه الجهات المعنية بإنسانية الإنسان في المجتمعات التي تعرّضت للفقر أو الافتقار، هذا الوحش المهلك، ممّا جعل البعض يفتّش عن طريق لينجو بحاله أو مع أسرته بحثاً عن رغيف الخبز لسدّ الجوع.

الكلمات المفتاحية: المهجر، المنفى، البؤس، الصعلكة، الإنسانيّة، المجتمع

Abstract

The phenomenon of misery and its consequences is a preoccupation for many researchers in the world, especially in societies with bad economies, where the problem is getting more and more complex every day. The research addresses the study of the poetics of misery in exile in the vision and thought of the poets, who were struck by this phenomenon with its scattered whirlwinds, and its

reflection on their poetry, as well as its impact on their souls and their literary experiences, and their poetics in general, and comparing this phenomenon with the misery of some past eras, including tangible results of the era of the creative era. This deadly beast has drawn the attention of human rights stakeholders in societies that have been subjected to poverty and poverty, which made some people search to survive on their own or with their family in search of a loaf of bread to satisfy their hunger, even if they sometimes lose their life

Keywords

diaspora, exile, misery, humanity, poetics, Society, the phenomenon of misery

*** المقدمة**

تعددت أسباب الهجرة على طول التاريخ لتمتدّ عرضاً وطولاً، شرقاً وغرباً، فتارة الكوارث الطبيعيّة، ومرّة الحروب المدمّرة والمبيدة، وأخرى البؤس والفقر والبحث عن لقمة العيش، ومرّة لإساءة المعاملات اللإنسانية، وأحياناً تجتمع كل هذه الأسباب والعلل ليهاجر الإنسان أو يرغم على ذلك، وحينما نمعن النظر في سبب هجرة النخب وبما فيهم الأدباء والشعراء نجدها لا تخرج عن هذه الأسباب غالباً، وبغض النظر عن زمان ومكان الهجرة، حاول البحث أن يناقش جانب البؤس والفقر والتصعلك وما كان يتصف به شعراء المنفى والمهجر، دراسة وتحليلاً شكلاً وموضوعاً.

ولا شك أنّ البؤس والفقر بات من أخطر المظاهر الإنسانيّة والاجتماعيّة التي تهدد البشريّة بل العالم برمّته، إذ في ظلّ ندرة فرص العمل وانتشار البطالة، تبرُز مشاكل الفقر، والبؤس، والتصعلك وبكل ما يحمل هذا المصطلح من معنى ومفهوم، وهذا الذي يؤكّد على حتميّة التغيير في العيش والاقتصاد في المجتمعات البشريّة.

لذا سيتناول البحث هذه المشكلة وهذه الظاهرة من بعض جوانبها وأشكالها وعلاقة الأدب والشعر بها، وجولاها في رؤية الشعراء وانعكاسها في الشعر العربي المعاصر وأثرها في نفوس أفراد المجتمع ونفوس الشعراء، حيث تناولها بعضهم بنظرة ساخرة تعبّر عن الواقع المرير لبعض المجتمعات المحرومة والتي يتجرّع أكثر أفرادها من بؤس هذه الظاهرة، وتناولها البعض الآخر مهدّياً النفوس موصياً بالصبر والتقوى، وقدم عدد من الشعراء بعض الحلول لعلاجها وذلك من خلال رؤيته الأدبيّة والشعريّة، معبراً عن مشاركته المأساة متمنّياً العلاج لذلك.

*** أهداف الدراسة ومشكلة البحث**

تتبّع الباحث مصادر الشعر المعاصر ليتأمّل شعر المهجر وما فيه عن البؤس والفقر والصعلكة، وما اختلج في فكر شاعر المهجر، والخطرات والتروات النفسيّة، التي تفجّرت في شعره وعلى اختلاف إنتماءه ومشاربه، شدّة وضعفاً، ومن شاعر إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى.

فصعلكة شعراء المهجر والفقر الذي تحدث عنه الشاعر كجورج عسّاف وإيليا أبو ماضي وفيليب لطف الله وجورج صيدح وإبراهيم البسيط، تختلف عن صعلكة ميخائيل نعيمة واليأس فرحات واليأس قنصل وزكي قنصل، وهي تختلف عن صعلكة درويش والبرغوثي وغيرهم، ولا شك انّ مصدر البؤس عند كل شاعر، يرتبط بالتجارب التي عَصَفت به، وتأمّله الماضي والحاضر والمستقبل، وبما يحيط به من أمور بمختلف أشكالها. لذا تهدف الدراسة إلى تبيين وتحديد وتحليل بعض هذه الأمور وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:-

*** أهمّية البحث**

تكمن أهمّية الموضوع في ظاهرة البؤس والهجرة والتهجير، وهي ظاهرة إنسانيّة واجتماعيّة مأساويّة منذ قِدَمِ الزمان وحتّى الوقت الحاضر.

وهذا مما يثير التساؤل في الأذهان، وهو هل ظاهرة البؤس، والفقر، والتصعلك، هي نقص في الشخصّية التي يصاب بها الفرد لأسباب؟ أو هذه الظاهرة هي حاجة ماديّة مفروضة أو عارضيّة يتعرّض لها الفرد أو المجتمع أحياناً وتزول حينما تنتهي تلك الحاجة؟

وإذا قلنا، انّ الشعر والشعراء شركاء الفرد والمجتمع في كل أحواله التي مرّ ويمرّ بها لم نذهب جزافاً، وذلك لأنّ الأدب تجربة البشر في الدنيا منذ البداية وإلى الآن، لأنه يلتقط المشاعر والأحاسيس والعواطف التي جرّتها السياسات والأنظمة على ذلك الفرد وعلى تلك المجتمعات، مستلهماً منها الخبرة والنّصح والقيم الأخلاقيّة والنبل الإنسانيّة.

أيضاً تنبُع أهمّية الدراسة من أهمّية الإنسانيّة التي شـــرّف بها البشر، ومساهمة الأدباء والشعراء في نضج الفرد والمجتمع، بل نضج الحضارة الإنسانيّة، ومن هنا تتضح أهمّية الشعر والأدب، وهذا ما سيفضي إليه البحث من نتائج، نحو:-

١- دراسة ظاهرة الصعلكة والبؤس في شعر المهجر وفي نفسيّة الشاعر والتأمّل في بُعدها الإنساني والأدبي.

٢- تبيين أهم مضامين شعر البؤس والفقر لدى شعراء المنفى والمهجر وتحليلها والتأمّل فيها.

٣- التأمّل في مكانة أدب وشاعر التصعلك المهجري ومكانة هذه الظاهرة في الأدب المعاصر وأثرها في الحضارة البشريّة.

٤- أيضاً دراسة ظاهرة مأساة الصعلكة في أدب المهجر ظاهرة ثقافيّة بامتياز والثقافة هوية المجتمعات البشريّة وتختلف باختلافها.

*** أسئلة البحث**

١- لماذا هذا البحث، ماذا يعنينا موضوع الصعلكة والبؤس والفقر في شعر المنفى والمهجر، وما أهمّية هذا النمط من الشعر، أليس هذه المسألة هي شأناً اقتصادياً واجتماعياً يهمّ الحكومات والأنظمة فحسب؟

٢- ماذا يمكن أن نجني أدبيّاً وثقافيّاً وإنسانيّاً من دراسة ظاهرة الصعلكة في الشعر المهجر، وكيف يمكن أن يدرس هذا الموضوع؟

٣- ما النتائج الأدبيّة والإنسانيّة والتربويّة، التي يمكن أن تترتب على هذه الدراسة؟

٤- كيف يحاول الأدب ارتقاء أخلاقيّات المجتمعات المعاصرة؟

٥- ما الذي يجعل من النص الأدبي سلّماً إنسانياً للحضارة البشريّة؟

٦- ما هي جهود الشعراء في معالجة القضايا الساخنة ومن ضمنها تصعلك وبؤس المجتمعات البشريّة؟

*** الدراسات السابقة**

الكلام عن البؤس والفقر وظاهرة الصعلكة في شعر المهجر ليس أمراً جديداً، وعلى الرغم من تعدد الدراسات فيه بشكل عام، لكن فيما يخصّ دراسة "ظاهرة صعلكة شعر المنفى والمهجر" في الشعر العربي ما زالت ضعيفة جدّاً، ولا شك انّ البعض كتب في هذا الموضوع وكل من كتب فيه قد تناوله حسب رؤيته وذوقه، ولكن اتساع ظاهرة الصعلكة بإتساع تاريخ البشر، ولعلها ستبقى مع الإنسان إلى يوم القيامة، وأنا أيضاً تناولت موضوع بؤس وفقر وصعلكة شعراء المهجر حسب ذوقي وفكري ورؤيتي، وهدف الجميع خدمة الأدب والإنسانيّة قطعاً، ولذا أنا لا أدعي أنني قد أصبت في هذا البحث تماماً، ولم يسبقني أحد إليه، بل كل ما في الأمر أنّ الدراسة محاولة متواضعة للتأمّل في ظاهرة الصعلكة ومأساة الفقر في شعر اؤلئك المساكين والمساهمة في هذا النوع من الدراسات الأدبيّة، حيث أنّ قضيّة الفقر والبؤس والتصعلك، هي التي تترك أثراً واضحاً على أفراد المجتمع وعلى سلوكهم في مجالات شتّى.

*** منهج الدراسة**

للإجابة عن أسئلة الدراسة اتّبع الباحث المنهج التاريخي، النفسي، الاجتماعي، ولم يغفل عن اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، إذ يتيح له القدرة على وصف أثر الصعلكة ومأساة الفقر في المجتمع وتحليل دلالاتها، التي تزيد البحث بمعلومات تكمن الباحث من اتخاذ القرار فيما يسفر عنه البحث من نتائج.

*** مفهوم وعلل وخصائص شعر البؤس والتصعلك**

أولاً- مفهوم البؤس والصعلكة

في العصر الجاهلي البائس والصعلوك لغة هو الفقير الذي لا مال له كما في المنجد وغيره من كتب المعاجم (ص425) وزاد عليها الأزهري في تهذيب اللغة ولا اعتماد (نورالدين، 2007م،ج1، ص11)، والحقيقة أنّ اصطلاح "اعتماد" مهم جداً، فهو يكشف عن طبيعة حال الصعاليك على أرض الواقع آنذاك، كما يؤكد على توجه الصعاليك، وعلى طريقة تفكيرهم التي تدل على مذهبهم في الحياة وفي الصعلكة، وهذا اللفظ "الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد" له دلالة هامة على إنتاج مفهوم الصعلكة، وجعلها بديلا عن أيديولوجيا القبيلة ومنهج الرأسماليّة الجاهليّة لجمع الثروة، وتكوين ثقافة الصعاليك بدلاً من ثقافة التّرف والاستهلاك.

ويذهب الفيروز آبادي في القاموس) ص946) إلى أنهم "ذؤبان العرب" وهذا التعريف يدل على طبيعة أعمال الصعاليك والأنشطة التي يقومون بها، فهم بالتأكيد ذئاب على الظالمين وسارقي لقمة الفقراء (نورالدين،2007: ج1، 11-12). وقد حدد شوقي ضيف معنى الصعلوك لغة: بأنه

الفقير الذي لا يملك المال ما يعينه على تحمل مشاكل الحياة، ثم يقول أن هذه اللفظة تجاوزت دلالاتها اللغوية، فقد أخذت تدل على من يتجرّدون للغارات وقطع الطرق، ويمكن تقسيم الصعاليك إلى فئات:-

١- الخلعاء وهم الذين خلعتهم قبائلهم بسبب أعمالهم التي لا تتوافق مع سننهم وأعرافهم.

٢- من نبذهم آباؤهم و لم يلحقوهم بأنسابهم، كالسليك بن السلكة، وتأبط شراً، والشنفرى.

٣- وفئة أخرى احترفت الصعلكة احترافاً وحولتها إلى ما يفوق الفروسية من خلال الأعمال الإيجابية التي كانوا يقومون بها، كعروة بن الورد سيد الصعاليك.

وما يلفت النظر في أشعار هؤلاء الصعاليك ترديد صيحات الفقر والجوع والحرمان كما كانوا ناقمين على الأغنياء والأشحاء، وامتازوا بالشجاعة والصبر وقو ة البأس وسرعة العدو، وقد ضرب بهم المثل في شدة العدو حتى قيل: أعدى من السليك وأعدى من الشنفرى (ضيف،2007، ص375). فهذا ما أشار إليه عروة بن الورد حيث أدرك أنّه لا مكانة للفقير في مجتمع يميّز بين طبقات المجتمع، فينال الغني مكانة مرموقة، أمّا الفقير فيصنّف فمع الأشرار (القرشي،1999، ج2، ص101).

ذريني للغنى أسعى فإنّي رأيتُ الناس شرهمُ الفقيرُ

فهكذا يصر على السعي لكسب الرزق والمال وذلك لأن المتكاسل لعلّه يزدرى ويحقّر حتى من أقرب الناس، ويصير عالة وثقلاً على أسرته وأقربائه، أذن فعليه أن يشمّر سواعده ويسعى لكسب معاشه ورغيف خبزه حتى لو واجه الخطر يقول: (عروة بن الورد،1998، ص65).

وَصارَ عَلى الأَدنَينَ كَلّاً وَأَوشَكَت صِلاتُ ذَوي القُربى لَهُ أَن تَنَكَّرا
وَما طالِبُ الحاجاتِ مِن كُلِّ وِجهَةٍ مِنَ الناسِ إِلّا مَن أَجَدَّ وَشَمَّرا
فَسِر في بِلادِ اللَهِ وَالتَمِس الغِنى تَعِش ذا يسارٍ أَو تَموتَ فَتُعذَرا

ثانياً- أسباب الفقر والتصعلك

قسّم بعض الدارسين صعاليك عصر الجاهلي على ضربين: خامل وعامل: فالخامل هو الفقير الذي ارتضى لنفسه التساؤل والتطفّل على الناس. وأمّا العامل، فهو الذي خرج على الأعراف، وغَضِبَ على من حرموه حقوقه الإنسانيّة، وكثرة علل الفقر والبؤس والتصعلك ولعلّ من أهم أسباب ظهور الصعلكة هو طبيعة الأرض، وبنية المجتمع، وتفاوت طبقاته والاختلاف في التعامل معه.

فانقسام المجتمع إلى أثرياء وفقراء وثرة الأثرياء أخذت تحرّض المحرومين على التمرّد والطمع بمال الأثرياء والأغنياء-لأن الفقير يعتقد بهذا المال أنّه جمع من ماله-ولذا كان الصعاليك ينتخب الطرق التي يسلكها التجار، فينقضون انقضاض الصواعق عليهم (طليمات والأشقر،1428هـ، ص270). هذا ومتى ما استطاع المجتمع أن يزيل الفواصل ما بين هاتين الطبقتين والقضاء على التناقض، معناه ساعد على تضعيف الصعلكة واقترب من العدل والعدالة. أيضاً من صفات الصعاليك الجرأة المتهورة، والذكاء، واليقظة، والاقتحام، والاعتماد على النفس، والنشاط والحيويّة.

وبعد مرور الزمان وعبر العصور خرج معنى الكلمة عن دلالتها اللغوية إلى اصطلاح جديد ذات مفهوم اجتماعي واسع، وظاهرة ثقافية، هي ضد الترف، والرأسمالية، والهيمنة

الاقتصادية، فهذه الظاهرة تؤمن بالفقر ولكنّها ترفض في الوقت نفسه أن يكون الفقير معتمداً أو عالة على غيره، وهذه الظاهرة برزت في مجتمع تحمد فيه نبراس العدالة الاجتماعية، وهذا بغض النظر عن صحة هذا السلوك.

ثالثاً– خصائص شعر الصعلكة في التراث ومنها

لقي شعر الصعاليك بعناية الدارسين والباحثين، وأخذ مكانته في الأدب الجاهلي وغيره، لأنّه شعر ذو سمات خاصة كاضطراب نسبة كثير من مقطّعاته، فقد ينسب بعضه إلى أكثر من شاعر، وقيل أنّ البعض منه منتحل، وأنّه مجموعة من القصائد والأراجيز والمقطوعات القصيرة، وأهم أغراضه هي تصوير الصعلكة بما فيها من تمرّد وتوعّد وتشريد وجوع وأهم مرتكزاته ومحاوره هي كالتالي:-

١– رفض المألوف

المغامرة والمخاطرة تشكّل روح الصعلكة، فانّهم خرجوا على المألوف ووضعوا لهم أعرافاً، وسنّوا لهم سناً يتبعونها، فنظام حياتهم يختلف مع النظمة الأخرى كاتباع الفوضى، وفي الحقيقة " إنّ جوهر حركة الصعلكة أنها رافضة متمردة على الواقع، إلى الأفضل، تطالب برفع الظلم ووقف الاعتداء على جمهور الفقراء وما أكثره، إنها دعوة من أجل إعادة توزيع الثروة، بحيث يستطيع كل إنسان أن يسد حاجاته اليوميّة، دون إذلال وامتهان وبيع ضمائر"(نور الدين،2007، ج2، ص359).

٢– سرعد العدو

حوّل الصعاليك بعض الأمور التي تعد سلباً في المجتمع إلى إيجاب وأحياناً إلى سلاح يستنجد به، ومنها العدو وسرعة الركض وقد برع فيها بعضهم، كالشنفرى وتأبط شرا والسليك وغيرهم حتى قال العرب في السرعة، أعدى من الشنفرى، وقد افتخر الصعاليك بذلك، ويعدّ من المباهاة بسرعة العدو وذلك لأنّهم جوّالون لا حصون لهم ولا دروع. فأرجلهم خيولهم، وجلودهم دروعهم، إذ هربوا من الناس في السلم فكيف لا يهربون منهم في الحرب، وخالفوهم في كل شيء فكيف لا يخالفونهم في طرائق القتال فالقاعدة عندهم السلب والهرب لأن المجتمع أنكر عليهم حق الحياة والبقاء لأنهم فقراء أو لأنهم سود الجلود وهذا معنى الاضطهاد الاجتماعي ومفهومه آنذاك.

٣– تأسيس مجتمع جديد

كان الصعاليك قد قطعوا أواصر القربى وتمردوا على الانتماء الذي يشدّهم إلى قبائلهم وأسرهم، ولقد استطاعت الصعلكة أن تنسج لهم أواصر جديدة، تجمعهم فيها خيوط التّشرّد وانتماؤهم إلى الجبال، واجتماعهم على مخالفة الأغنياء والأثرياء والطبقة المترفة، هذه الصفات التي كانت السبب الأساس لقرارهم كما بيّن لنا هذا عروة قائلاً:(عروة،1998م، ص58).

وأهوِنُهم وأحقرهم لديهم وإن أسى له حسب وخير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

٤– تفضيل الوحوش

ومن المآثر التي يباهي بها الصعاليك، اختراق الفلوات ومعايشة الوحش وابتعادهم عن البشر، ومجابهة الموت وتفضله على التطفّل واتسؤل، وهكذا أملت الصعلكة على أصحابها نمطاً من الأواصر وصنعت من الأضداد لهم فضائل.

(طليمات،2007، ج1، ص130، نقلاً مضمونيّاً)، قد نجد في شعر أكثر من شاعر من شعراء الصعلكة، كما نراه في رؤية الصعلوك الشنفرى:(الشنفرى، 2007م ص55-56).

ولـــي دونكم أهـــلـــون سيد عـــملـــس وأرقـــد زهـــلـــول وعـــــرفاء جـــيـــأل
وكـــلّ أبـــــــــيّ باســـلٌ غيـــرَ أنّنـــي إذا عرضـــــت أولـــى الطّرَائدِ أبسلُ

٥- المعنويّة النفسيّة

المعنويّة والنفسيّة لدى البؤساء والصعاليك، فهي متنوعة ومنها الإرادة وقوّة الشخصيّة والشجاعة والجرأة والصلابة والتجلّد والصبر والحزم والعزيمة كما يبيّن هذا لنا الشاعر سعد بن ناشب ينشد قائلاً: (ابن قتيبة،1967م، ص697).

إذا همّ لم تُردع عزيمـــةُ همّـــهِ ولـــم يأتِ مـــا يأتـــي من الأمـــر هائبا
إذا هم ألقـــى بين عينيه عزمه وصمم تصميم السريحي ذي الأثر

٦- قوّة التحمّل

الصبر وطول النفس والتحمّل قساوة الطبيعة والتأقلم معها وعدم الالتفات والتوجه إلى شدة حرها وبردها وجوعها وعطشها في سبيل الإباء وعدم تحمّل الذل والاستعباد والمنّ والتطوّل، الصمود في مقابل غطرسة المستكبر، هذا ما نجده في مخيلة الشنفرى الشعريّة، الذي أهمل الجوع حتى نسيه وكأنّه لا معدة لديه لكي يشعر بالجوع إذ يقول: (الشنفرى،2007م، ص58).

أديم مطاوي الجـــــوع حتـــــى أميته واضرب عنه الذكـــر صفحاً فأذهل
واستف ترب الأرض كي لا يرى له علـــــــيّ مـــن الطولِ امـــــرؤ متطول

٧- التغامر بالنفس

منشأ شجاعة الصعلوك عدم تعلقه بالدنيا وبالمناصب المغرية إذ لا يحمل معه إبل فقره وبؤسه، فهو متأهب لا يبالي بالموت لأنّه لا يجد فرقاً كثيراً بينه وبين الحياة الدنيا، وهذا ما أوجده له الظَلَمَة الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ويظنون انهم يحسنون صنعاً، الذين زيّن لهم الشيطان قتل الأبرياء، فالصعلوك مكلّف بالدفاع عن النفس بما أمكنه ذلك وهذا ما يقوله الشنفرى: (الشنفرى،1996م، ص66).

نحنُ الصّعاليك الحُمـــــاةُ البُزّلُ إذا لَقِينـــــا لا نُـــرى نُـــهـــَلّلُ

*** صعلكة شعراء المهجر**

أولاً- مفهوم شعر المهجر

وامّا مفهوم الصعلكة المعاصرة، فأنه قد يختلف كثيراً عن المفهوم الجاهلي للصعلكة فاتجهت القصائد في العصرنة نحو الشكوى والتذمّر من الفقر والتساؤل وذم البخل ونقد المجتمع المعني في آنٍ واحد، و لم تعد الصعلكة بمكان محدد كما كان في العصر الجاهلي، فانتشر الفقر في كلّ مدينة وبلد، وخيمّ البؤس والفقر في جانب والترَف والغنى الفاحش في الجانب الأخر، و لم يعرف هولاء الأغنياء قلب الملايين الجياع المبعثرة في أنحاء العالم، وانشغل البعض ببيع وسائل القتل والبعض الأخر في شراءها، من أجل نشر الفقر وقتل الفقراء! فعليك أن تمت أيّها الفقير اليوم قبل غد.

ثانياً- اختلال المعايير

من أهم ما يلاحظ في العصر الجاهلي والذي كان منتشراً فيه هو السفه والترغ واختلال المقاييس والمعايير في التعامل مع البؤساء والصعاليك بشكل جائر ولا إنساني لبواعث، كالعصبيّة القبليّة أو غيرها كما يلاحظ عند الشاعر الجاهلي هدبة بن الخشرم في قوله: (الطبّاع،2006م، ج1، ص158).

سأهجو من هجاهم من سواهم وأعرض منهم عمّن هجاني

فنجد هذا المنطق الجائر في عصر ما يسمّى بالحضارة يخذ أبعاداً وأشكالاً متنوعة وأشد قساوة دون رحمة ودون اختلاف الفحوى والواقع فيتظاهر الأمراء والحكّام بالتودّد والاهتمام بشؤون الفقراء والبؤساء، وتعقد الاجتماعات والمؤتمرات وبشكل متوال ومكثف، وتضجّ وتعجّ وسائل الإعلام بذلك لكن واقع الأمر شيء آخر وعادة تأتي النتائج معكوسة تماماً، وهذا ما يقوله شاعر المهجر الياس قنصل:-

فـــي كلّ مـــؤتمرٍ ينظـــم وفدهـــــــم غلّاً بـــه عُنُقُ الضـــعيف يطوّقُ
منحوا الشعوبَ علومهم وفنونهم وثيـــابها بنيوبـــــهم تـــــــتـــمـــــزّقُ

(الهواري، 2009م، ص331).

ولأجل هذه الأسباب، ولأسباب لا تعد ولا تحصى من هذا القبيل، في عصر الغني والثري لا يكتف أصحاب الثروات بجمع قوت الفقراء والبؤساء فقط، ويساعد ذلك الإعلام المبرمج والظالم والمنحاز والقرارات والقوانين والأنظمة والتشريعات التي تمنح المحتكر والمستغل القدرة أكثر، والتي صارت أشبه بالأفلام الكاريكتوريّة المثيرة للسخرية والغضب والاشمئزاز.

هذا من جهة ومن جهة أخرى الشاعر والأديب لا يخلق لغته وإنما يستاقها من المجتمع الذي يعيش فيه، (محي الدين،2017، النت) فيرى الشاعر صعلكة المهجر وبؤسها القاسي ومأساتها القاتلة ليرسمها ويجسدها بعاطفته وإحساسه وخياله الأدبي الذي لا يعرف إلّا الإنسانيّة والمظلوميّة بأنواعها وأشكالها دون تمييز ويلمس هذا من سخرة الشاعر إيليا أبي ماضي إذ يقول: (الهواري، 2009م، ص24).

نسي الطينُ ساعةً أنه طـــيـــــــــــــــن حقيرٌ فصـــال تيهاً وعـــربَد
وكســـــا الخزّ جِســـمَهُ فَتباهـــى وحـــوى المالَ كِيسُـــــــــه فَتمَرَّد

يا أخي لا تَمِل بِوَجهك عنّـــي مـــا أنـــا فحمـــةٌ ولا أنتَ فَرقَد

فهي الإنسانيّة التي لا تعرف الذات ولا تعرف الأنانيّة ولا تعرف ضيّق الأفق والرؤية المنغلقة ومن هذا المنطلق سخر شاعر المهجر بأصحاب الثروة أيضا، لا بل حتى بالأنظمة حيث يعتقد انّها هي التي سببت البؤس والفقر لكثير من شعوب العالم، وقطعاً العاقبة للبؤساء والجيّاع وللصعاليك. ويبدو ميخائيل نعيمة ساخراً من ازدواجيّة المقاييس في قصيدته الطمأنينة وبعد أن واجه تضاريس الدنيا المختلة، فحصّن نفسه بالطمأنينة النفسيّة والإيمان بزوال كابوس البؤس والشقاء يوماً ما، فهو لم يعد يبالي بأصناف الأذى أو الخوف من الموت، لأنه إذا لم يكن للفقراء بيوتاً يسكنوا فيها فإن لديهم إيمان راسخ قوي لا يخشى صنوف الأذى والعذاب يقول الشاعر: (الطبّاع،2006م ص84).

فـــاعصفي يا رياح وانـــتحـــب يـــا شـــجـــر
واقصفـــي يا رعـــود لست أخشـــى المطـــر
لست أخشـــى العذاب لســـت أخشى الضـــرر

ثالثاً- نسبة الفقر مع الكفر

الفقر هو الأقرب إلى الكفر والشرك وهذا ما أكدته الشرائع السماويّة جميعها دون استثنى، والمصيبة الكبرى هي حينما يهاجر ويتغرّب الإنسان من أجل التخلص من البؤس والفقر يجده قد وصل قبله وأخذ يتربّص به ليقربه للكفر، وهذا الذي يشير إليه أديب المهجر رشيد أيوب، فهو كغيره من شعراء الصعلكة قد تجرّع مرارت البؤس ومأساة الفقر الأمر الذي قرّبه من حافة الكفر والشرك فكاد يلتفّ بظلمته

الحالكة، لو لم يتشبّث بالصبر والتأمّل وهذا الذي جعله يقول:(نورالدين،2006م، ص369).

ربّـــاه مـــا هذا الطـفـــــر فـاسمح لعبدك إن كفـــر
لـلنـــاس عـيـش طيّـــب أمـــا أنـا يا مـــا أمَـــر
أسعـــــى ولكن لا أرى للحُسن فـــي حظـي أثـــر
إن كـــان بـــالصبر الغنـــى أيوب مثلي مـــــا صبـــر

ولعله يمكن القول ان الذي جعل شاعر المهجر إيليا إلى هذا الحد من الترديد في قصيدة الطلاسم والتأمِل في كل شيء من البداية والنهاية والحال والماضي والمستقبل إذ يقول: (الهواري،2009م، ص41).

جئت، لا أعلم مِن أين، ولكنّي أتيتُ ولـقـــد أبصـــرتُ طـريقـاً فمشـــــيتُ
وسأبقى ماشياً إن شِئتُ هذا أم أبيتُ كيفَ جئتُ؟ كيفَ أبصرتُ طريقي؟
لَســـــــــــــــــــــــــــــــتُ أدري!

وتبلغ ظاهرة الصعلكة والبؤس والفقر والتشرد ذروتها في أدب المهجر، فقد عانى أدباء المهجر أكثر من غيرهم، وذاقوا المرّ في سبيل الرّزق والعيش، والحرمان وقسوة الزمان وسوء الطالع والحظّ، حتى عمل بعضهم بائعا متجولا أو مارس أعمالاً دون شأنه ولا تتناسب ومستواهم الفكري والأدبي والاجتماعي.

ومن هؤلاء شاعر المهجر إلياس فرحات، حيث يصور لنا شقاء غربته سعيا وراء الرزق، فلا يحالفه الحـــظ، فإذا قصـــده غرباً راح الحظّ يشرق، وإن قصد الشـــرق راح الحظّ يغرب، وقد عمل الشاعر في البرازيل بائعا متجولا يصف حاله والشقاء والبؤس والصعلكة يقول:-

أغـرّبُ خـلـفَ الـرّزقِ وهـــوَ مُشَرّقٌ وأقـســمُ لـــو شـرّقْـــتُ راحَ يغـــرّبُ
حيـــاةُ مشـقـــاتٍ ولـــكـن لبعـدهـــا عـــن الـذل تصـفـو للأبـــيّ وتـعـذبُ
طوى الدهرُ من عمري ثلاثين حجّةً طـويتُ بـهـا الأصقاعَ أسعـــى وأدأبُ
ومـــــا أكلنـا ممـا نصيد وطـالـمـــا طـوينـا لأن الصـــيد عنـّا مـغـيّـبُ

(الغفيلي،2003، صص416-417).

فها هو ذا الشاعر المهجري إلياس فرحات، يرسم لنا شقاء غربته سعيا وراء الرزق، فلا يحالفه الحـــظ، فإذا قصـــده غرباً راح يشرق، وإن يمم نحـــوه شـــرقاً راح يغرّب، وقد عمل الشاعر في البرازيل بائعا متجولا وزاول أعمالا عديدة فوصف حاله في مكابدة الشقاء وقلة الحظ له.

ولو انتقلنا إلى شعراء صعاليك المنفى والمهجر لرأينا أن أساليبهم تطوّرت كثيراً، فابتعدوا عن التعقيد في التراكيب والغرابة والغموض في اللغة والألفاظ واتخذوا أسلوباً مبسّطاً واضح الدلالة واللغة وبعيداً عن التنافر، كما نلاحظه عند الشاعر اليأس، فهو عمد إلى الفاظ -طوى- طويت- الأصقاع- أغرّب- أشرق- مشقات، ومن خلالها حاول رسم الوجه للشقاء والبؤس ومحاربة الزمان له ومشاكسته إيّاه، فهو يشرق والحظّ يغرب، وحينما يغرب طالعه يشرّق، فالشاعر نقل البؤس والتصعلك نقلاً حرفيّاً دون محاولة تغيير، لذا نرى التشاؤم الذي طغى على نص القصيدة، وسخر من الحياة اليوميّة قائلاً: (نورالدين،2006م، ص394).

وإذا رأت اليأس يحمل خنجراً لا تعذل الزنديق والمجنونا

فالفقر والعوز هو الذي أخذ بيد الشاعر نحو التّغرّب والهجرة ولكن دون أن يفلح، فكلماته شكوى ممزوجة بالبؤس والصعلكة وقساوة الدهر وعناده له، فالفقر يتنقل معه كالعدو اللدود له وهكذا الأمر عند شعراء المهجر الآخرين فهم لا يختلفوا عنه كثيراً، كما نلاحظه عند اليأس فرحات حينما جعل الفقر أصل كلّ شر وفي مقدمة الكفر والشرك، فرؤية

الشاعر هذه تقترب من رؤية أحد الشعراء الآخرين الذي يرى الزمان كأنه عدوّ للإنسان كثيراً ولا يرحم أحداً كما قيل:-

يمشي الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونـــــــــــــــه أبواب

فالفقر والبؤس لا يفترق عن الكفر والشرك، أيضاً الفقر والكفر أشبه شيء بالموت، ولا فرق بين الموت الجسدي والنفسي والموت الاجتماعي، هذا إذا فقد الإنسان الأمل والطموح المستقبلي، ولذا يتساءل الشاعر عبد العزيز المقالح هل الموت بكل أشكاله هو السبب للفقر أم الفقر هو السبب للموت؟ إذ يقول:-

هل كان الموت طريق الفقر

أم كان الفقر طريق الموت

ثمّ يواصل قائلاً: لا فرق في ذلك وكأنه قد أشار إلى قول القائل: إذا سافر الفقر إلى مكانٍ ما، قال الكفر خذني معك يقول الشاعر:-

الموت الفقر

الفقر الموت

من يسلبك اللقمة

يسلبك الروح

من يترع عنك الثوب

يترع عنك الجلد

(المقالح،1986، صص600 -604).

رابعاً- التثقيف المضاد

يبدو انّ الدنيا أقبلت على وقت وبرهة زمنية وكأنها بحاجة إلى صعاليك جدد، ذا طابع بطولي وإنساني يمجّد الإنسانيّة دون تمييز بشكل من الأشكال، وهذا الذي جعل الصعلكة عند الشاعر الفلسطيني أشد قسوة لأن الظلم قد تضاعف عنده، تشريد وتهجير وبؤس وحرمان وفقر، كل ذلك يمارسه الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، فهو العدوّ الذي لا يعرف معنى الإنسانية طول تاريخه، ولكن من جانب آخر صمود وصبر الفقراء الذين بدؤا المسيرة يبشّر بالخير فهم لابد أن يصلوا وهذا ما يقوله مريد البرغوثي: (البرغوثي، 2013، ج2، ص630).

ومغالق الطرق التي انفتحت

يرتادها البطل

والبادئون مسيرة الفقراء

لابد أن يصلو

(الأسطة،2008، ص177).

وهذا هو صمود في مقابل ثقافة العدو الذي يتبجح بقتله الأبراء، يقول الشاعر الصهيوني يونثان غيفن بعد مجزرة صبرا وشاتيلا " إن والدتي قد بكت لأني لم أحضر لها رأس أحدهم، والدتي بكت لأنني لم أقتل المزيد" (الرفاعي،2000م، ص137)، أيضا أنظر- نورالدين، 2007، ص 365).

فالصعلكة عند الفلسطيني تختلف، فأطفال الحجارة في فلسطين صعاليك جدد، ورجال الانتفاضة صعاليك متمرّسون، ورجال المقاومة هنا صعالكة أشاوس، سلبوا النوم من عيون المعتدين، والراحة من أجسادهم، والاطمئنان من نفوسهم (نورالدين،2007) ص360). دفاعاً عن النفس والهويّة والوجود، والتأكيد على براءتهم في مقابل شرذمة غاصبة. وأما الشاعر اليمني عبد الله البردوني ينضم إلى شعراء

الصعلكة لينديد بالظلم الذي لحق البؤساء وذلك لعدم وجود العدالة في المجتمع وهذا الذي ضاعف مأساة الفقراء يقول الشاعر: (نورالدين،2007م، ج2، ص599).

لماذا لي الجوع والقصف لك ... يناشدني الجوع أن أسألك
لماذا وفي قبضتك الكنوز ... تمدُّ إلى لقمتي أنملك
لماذا تسود على شقوتي ... أجب عن سؤالي وإن أنجلك
فما كان أجهلني بالمصير ... وأنت لك الويل ما أجهلك

ونرى جرئة البوح بالظلم ورفض ما يتعرض له صعاليك وبؤساء العالم عند شاعر المهجر مطر أكثر وضوحاً، فهو يوجه اللوم إلى النظمة الرأسماليّة هو السبب الذي يجله يرفض العصابات العالميّة ليقول:-

أنا لا أدعو
إلى غير السراط المستقيم
أنا لا أهجو
سوى كل عُتُل وزنيم
وأنا أرفض أن
تصبح أرض الله غابة
وأرى فيها العصابة
تتمطّى وسط جنات النعيم
وضعاف الخلق في قعر الجحيم
هكذا أبدع فني
غير أني
كلما أطلقت حرفاً
أطلق الوالي كلابه
(مطر،2001م، ص 114).

خامساً- أكواخ البؤساء وقصور الأثرياء

إيليا أبو ماضي وفي قصيدة الطين قد أبدع في أسلوب السخرية، حينما ركّز على القضايا والقيم الإنسانيّة وعلى عدم الفرق بين الإنسان الفقير البائس والإنسان الغني المتكبّر والمتصعّر على الناس الذي يتباهى بماله وثروته على الفقراء، فالشاعر لم يجد فرقاً في الإنسانيّة ليكون سبب الاستعلاء للغني، فالجميع من أصل واحد وهو الطين الحقير يقول إيليا:-

نسي الطين ساعةً أنه طينٌ ... حقيرٌ فصالَ تيهاً وعربد
و كسا الخزُّ جسمه فتباهى ... و حوى المالَ كيسُهُ فتمرّد
يا أخي لا تميل بوجهك عني ... ما أنا فحمةٌ ولا أنت فرقد
قمرٌ واحدٌ يطل علينا ... وعلى الكوخ والبناءِ الموطّد
إن يكن مشرقاً لعينيكَ إني ... لا أراه من كوة الكوخ أسود
(نورالدين،1428، ص402).

فالأموال والقصور والثروة لا تزيد من إنسانيّة وقيمة ومكانة الإنسان حسب الواقع وعند الله، فالإنسان إنسان بقيمه ومكانته وسجاياه الإنسانيّة لا غير، والشاعر نفسه يؤكّد على هذا ثمّ يرى أنّ قضيّة الفقر والبؤس قد تزلزل عقائد الإنسان وصفاته البشريّة حينما يتعرض للفقر والبؤس والتصعلك، وهذا جعل الشعر يبوح به في قصيدته الفقر، فالفقر كما هو في فكر ورؤية شاعر المهجر إيليا قد يدمّر دنيا وآخرة الفرد في المجتمع، وحينئذ ليس هو الذي يتحمل المسؤولية لوحده كما يقول: (أبوماضي، د،ت، ص105).

قد عضّه البأس الشديد بنابه ... في نفسه والجوع في الأحشاء
يبكي بكاء الطفل فارق أمه ... ما حيلة المحزون غير البكاء
فأقام حلس الدار وهو كأنه ... لخلو تلك الدار في بيداء
حيران لا يدري أيقتل نفسه ... عمداً فيخلص من أذى الدنياء
أم يستمر على الفضاضة والقذى ... والعيش لا يحلو مع الضرّاء

سادساً– مؤائد الصعاليك

وتبلغ السخرية من الأغنياء ذروتها عند الشاعر إيليا أبي ماضي في قصيدته كلوا واشربوا فتمنّى لهم الشاعر المزيد من التبذير والترف والمال والثروة من باب السخرية الاذعة لعلهم يشرون بغيرهم ومن أين جاءت ثروتهم وعلى حساب من وماذا ستكون النتائج؟ يقول:(أبو ماضي، د، ت، ص761).

كلوا واشربوا أيّها الأغنياء وإن ملأ السكك الجائعون
ولا تلبسوا الخزّ إلاّ جديدا وإن لبس الخرق البائسون
وحوطوا قصوركم بالرجال، وحوّطوا رجالكم بالحصون
فلا ضحايا الطّوى ولا يبصرون الذي تصنعون
إذا الجند لم يحرسوكم وأنتم سراة البلاد فمن يحرسون؟
وإن هم لم يقتلوا الأشقياء فيا ليت شعري من يقتلون؟
ولا يحزننّكم موتهم فإنّهم للردى يولدون
وقولوا كذا قد أراد الإله وإن قدر الله شيئاً يكون

وأما الشاعر جوزف حرب قد شارك الصعاليك في الكثير من قصائده وانشاده منها: قصيدة الغيم المهجور وقصيدة الصعاليك يفتحون العواصم، فهو في مجموعته الشعريّة كتاب الدمع لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد الشاعر من ظاهرة الصعلكة فهم حفاة، ثيابهم ممزقة، ومشققة، فهم الفلاحون الكادحون، الفقراء، الجيّاع وبؤساء الدنيا يقول:

صاروا قبوراً يخرجُ الأمواتُ منها
كم مرَّ فوق شفاههم غيم
و لم يمطر

ثمّ يتابع الشاعر حيث يرسم لوحات لأطباق الفقراء المساكين، أصحاب النفوس الشريفة والعالية والعفّة والإباء قائلاً:–

هو الفقر الذي لا كيس فيه
ولا جرارَ ولا طبق
صاروا كلاماً، ليس يملك
لا يراعاً أو دواة أو ورق
لم يبقَ من زاد النّهار
بصحنهم إلا الغسق

(جوزف حرب،2002م، صص63-71).

فالصعلوك حسب رؤية وفكر جوزف حرب لا يعرف الضيم والذلّ، فالفقير حتى لو أكل ولبس وشرب البؤس والشقاء فهو أبيّ صابر محتسب، لذا العدالة الاجتماعيّة هي الأساس للصلة بين الفرد والمجتمع، وهذه " ظاهرة التوافق الاجتماعي هي التي يقرر علماء الاجتماعي أنها الأساس الذي تقوم عليه الصلة بين الفرد والمجتمع، بحيث يكون عمل الفرد من أجل صالح المجموع، كما يكون عمل المجموع لصالح الفرد. وفقدان هذا التوافق الاجتماعي ينتهي بالفرد عادة إلى أن يكون صلته بمجتمعه قائمة على أساس السلوك الصراعي، ولذا قيل السلوك إما تعاوني إما صراعي، وذلك لأنّ في كل مجتمع تيارين متضادين: أحدهما يتصل بالفرد، والآخر يتصل بالمجتمع، ووجود هذين التيارين يستدعي وجود نوعين من الصلة بين الفرد والمجتمع، فإما أن يكون بينهما وفاق وإما أن يكون بينهما صراع" (يوسف، د، ت، ص58-59).

سابعاً– شكوى البؤساء

شعر الصعاليك والبؤساء والفقراء المساكين ومن بداية ظاهرة الصعلكة وإلى الآن مليء بالشكوى والعتب والتذمّر فتارة من الحظّ العاثر وتارة من الدهر والزمان وأخرى من المجتمع وأحياناً من الأنظمة والحكومات وهكذا يبدو

دون أنتهى، هذا ما نلاحظه عند الشاعر اليأس طعمة إذ يقول: (نورالدين،2007م، ص383).

أرى حياتـي كلـها خسائر ولـم اكـن مقامـراً أو تـاجـرا

وهكذا أمشي كئيباً حـائرا كمن أضاع في الدجى جواهرا

وكل تعسـي أن أكون شاعرا

أما الشاعر إيليا أبي ماضي يوجه اللوم للفقراء وليس للأغنياء ثم يدعوهم إلى القناعة والرضا، وعدم الشكوى من تردي أحوالهم، ويحثم على الصبر ويلفت أنظارهم للآخرة ويذكرهم بنعيم الجنان وهذا وعد الله وانّ الله لا يخلف الميعاد، وترك الأغنياء في غناءهم يعمهون إذ يقول: (أبو ماضي، د،ت، ص762).

ويا فقـراء لمـاذا التشكّي؟ ألا تستـحون؟ ألا تخجـلون؟

دعـوا الأغنيـاء ولذّاتهـم فهـم مثـل لذّاتهم زائلـون

سيمسـون فـي سقر حـالدين وتمسـون في جنّـة تنعّمون

لكم وحـدكم ملكوت السّـماء فمـا بالكم لسـتم تقنـعون؟

كذا وعـد الله أهـل التقـى وأنتم هـم، أيّهـا، المتعبون

ألا تؤمنـون بقـول الكتـاب؟ فويل لكـم إنّكـم كافـرون!

ثامناً– الخصائص الفنيّة

اتسمت حياة الشعراء الصعاليك بالقلق والاضطراب والسعي الدائم في سبيل اللقمة، فهم في حركة دائمة لا تهدأ، وتواصل مستمر مع الطبيعة، يكافحون ليعيشوا، وليعوّضوا عمّا خسروه بين قبائلهم، لذلك كانوا مستعجلين لتحقيق مآربهم، يقتنصون الرزق من مصدره برشاقة، يعدون بسرعة، هذا الكفاح الدائم، جعل لمحات شعرهم الفنية خاطفة سريعة، إذ لم يكن لديهم الوقت الكافي للتصبّر وإمعان الفكر في العمل الفنّي (نورالدين، 2007، ص615). كما يقول تأبّط شراً، حيث كان لديه شَعر رأس طويل و لم يسمح له الوقت للاعتناء به، وشغله الشاغل الغزو والإغارة. (الضبّي،1920، ص15).

فذاك همّي وغزوي أستغيثُ به إذا استغثتُ بضافي الرأس نعّاق

إذ ليس العمل الفنّي والصنعة اللفظيّة والفنّة هدفاً عندهم لكي يهتموا بها، بل شغلهم الشاغل هي الإغارة

والصعلكة، فهم مهتمون بإيصال الفكرة والضمون من خلال المقطعات والأراجيز والقصائد القصيرة الشعريّة إلى غيرهم. لذا وظّف الشنفرى هذه الأمور الفنية كالتشبيه والاستعارة والتجسيد والتشخيص لأغراضه بشكل بسيط يقول:(الشنفرى،2007، ص58).

أُدِمُ بِـطَـلَّـالِ الجُـوعِ حَـتّـى أُمِيتَهُ وَاضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فَأُذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يَرى لَهُ عَلَيَّ بِهِ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

صعاليك الجاهليّة خرجوا على المألوف والتقليد والأعراف وعلى الكثير من الموضوعات المتداولة في زمانهم إلّا أنهم لم يخرجوا على النظام اللغوي، بل أضافوا إليه الفاظاً ومفردات لغويّة كثيرة من البيئة التي اختاروها مأوىً لهم، ولذا لغتهم أقرب إلى الطبيعة الوحشيّة وإلى البيئة البدويّة من غيرهم من شعراء تلك الفترة. ومن هذا المنطلق نجد شعر صعاليك العصر الجاهلي مغمور اللغة وغريبها وطلاسم الألفاظ في أشعارهم، مما يصعب فهمها أحياناً، وهذا الذي جعل أرباب المعاجن والقواميس أن يعتمدوا على الكثير منها، كما نراه في شعر الصعلوك تأبّط شرّاً إذ يقول: (تأبط شرا، 1984م، ص-115).

على غِرَّةٍ أو جهرَةٍ من مُكانِسٍ أطالَ نزالَ الموتِ حتّى تَسَعسَعَا

فنلاحظ تنافر الحروف والكلمات وغموض معانيها فتكاد تعدّ من الطلاسم والأحاجي، ولعلّ بعضهم عمد إلى

هذا الأسلوب لعرض العضلات الشعريّة تماشياً مع تمردهم على التقاليد القبلية والمجتمع الجائر آنذاك، ولذا معظم شعراء الصعلكة عندهم هذا النمط من اللغة وكأنّهم عمِدوا لذلك النهج والأسلوب ومن فنونهم نلاحظ أيضاً:-

١- قَصرُ انفاس شعراء الصعلكة لأنّ أكثر شعرهم مقطعات، وأراجيز، وقصائد قصار بادر الشاعر فيها إلى أصل الموضوع، بلا مقدمة طللية أو غزليّة وأحياناً أرتجالاً.

٢- وصف الغارات والصحراء والأشباح والجن والغول والوحوش ورسم لوحات جميلة فنيّاً لتلك للبيئة الوعرة والمتوحشة.

٣- شعر الصعاليك السّخط وغضب كثيراً على بعض القبائل والمجتمع، الذي حرمهم من أبسط حقوقهم الإنسانيّة بما فيها العدالة.

٤- السرد القصصي ومحاوراتهم القتاليّة وبيان أدوات أسلحتهم وحروبهم في أسمارهم واجتماعاتهم ونظمها شعراً.

ولو انتقلنا إلى شعر البؤساء والفقراء المعاصرين لرأينا أن أساليبهم تطوّرت كثيراً، فابتعدوا عن التعقيد في التراكيب والغرابة والغمور في اللغة والألفاظ واتخذوا أسلوب مبسّط واضح الدلالة واللغة وبعيداً عن التنافر، كما هو عند الياس فرخات يقول:(الغفيلي،2003، صص416-417).

أغـرّبُ خلـفَ الـرّزقِ وهـوَ مُشَرّقٌ وأقـسـمُ لـو شـرّقْـتُ راحَ يـغـرّبُ
حياةُ مشـقـاتٍ ولـكـن لعـدهـا عـن الـذل تصـفـو للأبـيّ وتـعـذبُ

فحاول الشاعر المعاصر التخلص من معاجم وقواميس الصحراء والفلوات واللغة والألفاظ البدويّة، ويقترب من روح الحضارة والعصرنة الأدبيّة وروح التطوّر، ولكن المضامين لا تختلف كثيراً، فهي مضامين الفقر والبؤس والتصعلك.

وهذا ما لاحظناه عند أكثر الشعراء البؤساء فهم يؤكدون على براءت الإنسان الفقير الذي وقع ضحيّة للترف والإسراف والرأسماليّة الجائرة، وتوزيع الثروة بأساليب غير عادلة ولا معتدلة.

*** توصيات الباحث**

١- الاهتمام بالقضايا الإنسانيّة كظاهرة البؤس والفقر والتصعلك قولاً وعملاً لأهميتها في المجتمعات البشريّة.

٢- تشجيع المؤسسات المعنيّة والخبراء وأهل الفكر والأختصاص للعمل الجاد من أجل مكافحة مظاهر الفقر.

٣- أهتمام وسائل الإعلام والمناهج التعليميّة بدراسة أسباب وعلل الهجرة بما فيها ظاهرة البوس والفقر لأنّ أصالة الإنسان والإنسانيّة أصل حاكم وليس محكوم عليه.

*** النتائج وخاتمة البحث**

استعرض البحث الفقر والبؤس الذي انتجه شعر المهجر والمنفى، ليبيّن ما قدمه الشعر والشاعر لهذه الأزمة الإنسانيّة، وكيف شارك البؤساء والمحرومين والمجتمع في محنته بحثاً عن رغيف الخبز، وكيف درس الأسباب، والحلول التي قدمها لهذه المشكلة.

١- حاول البحث كشف نبل وإحساس بعض شعراء الصعلكة والفقر من خلال أشعارهم وإنتاجهم مستنداً بنماذج ومساهمات شعريّة لهم، حيث كان لها أثر هام في نفس المتلقي.

٢- دراسة المؤثرات الاجتماعيّة، والثقافيّة، والاقتصاديّة، لقضية والبؤس، من خلال رؤية وفكر الشاعر.

٣- الفقراء يخاطِروا بأنفسهم من أجل إنجاز أهداف نبيلة أهمها، العدالة والمساواة الجتماعيّة، ورفض الظلم، ورفض إحتكار الثروة بيد بعض الأقليّة، فالإنسانيّة لا تميّز بين أفراد المجتمع.

٤- قدّم بعض الأدباء والشعراء الحلول والطرق لمكافحة ظاهرة الفقر والبؤس والصعلكة منها: العلم والاختصاص المناسب.

٥- استخدم الشاعر أسلوب العتاب واللّوم والتقريع والمبالغة فيه أحياناً، ونلاحظ هذا عند جميع المهجر، ويمكن أن نلاحظ الهجو وعنف العبارة لغة في كثير من شعراء البؤس المعاصر وهذا يدل على عمق المأساة وفداحة الوضع في العالم.

٦- استخدام المفردات الغامضة والمغمورة كما هو في الشعر الجاهلي، ولكن شاعر المهجر خاطب الجماهير بلغة حضريّة ساخرة وغضب من الوضع المتأزّم للبؤساء والفقراء.

٧- اختلاف شعر وشعراء البؤس والفقر قديماً وحديثاً، ليس في اللغة فقط، بل في الكثير من الأغراض والفنون والأساليب، في الوقت الذي استخدم الجاهلي أبسط الفنون وركّز على أغراض وموضوعات خاصة، نجد الشاعر والبائس المعاصر توسع في الشكل والمضمون واللغة والأساليب، ومن ضمنها السخرية، وقساوة الألفاظ واللغة والهجو وكل الوسائل المتاحة لديهم.

٨- ربّما ترجع ظاهرة الصعلكة في المهجر وغيره إلى التهميش والتمييز الطبقي والنظرة الإزدرائيّة.

٩- يبدو أن شعراء البؤس حاضراً تمردوا على بناء القصيدة وتغيير المطالع الشعريّة فيها، ولذا استبدلوا الكلام عن الرسوم والأطلال، وتوديع الزمان والمكان بالبكاء، بالكلام عن الرحيل والهجرة والتغرّب، وذلك إباءً منهم للواقع المرير فرداً ومجتمعاً أحياناً.

١٠- لا الشّك أن عدم الالتزام بالقوانين والأنظمة بمختلف أنواعها اقتصاديّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً وسلوكيّاً مرفوض، وهذا ما يؤكده العقل والضمير والمنطق الإنساني، ولكن القانون للجميع وليس للفقير فقط، وإذا لم يخرج على القيم البشريّة، وهذا الذي يمنع توسّع الفقر.

١١- سخّر بعض شعراء البؤس في المهجر حريّة الفكر للدفاع عن الشعوب الفقيرة والمغلوب على أمرها أحياناً.

١٢- وجد بعض شعراء المهجر التغرب والبعد عن الأوطان منجاة من الأذى والأنفة والازدراء، والبعض الآخر لم يجد في الغربة ما كان يطمح إليه، بل وجد انّها تحطّ من قدر الإنسان وتفسد عليه أمره أحياناً.

*** المراجع**

١- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د، ت.

٢- عروة بن الورد، الديوان، بيروت، دار الكتب العلميّة،1998م.

٣- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، القاهرة، دار المعارف، 1967.

٤- أبو ماضي، إيليا، الديوان، بيروت، دار العودة، د، ت.

٥- أحمد الرفاعي، شكل آخر للصعلكة، بيروت، إصدارات كراس،2000م.

٦- أحمد، مطر، الأعمال الشعريّة الكاملة، لندن، 2001م.

٧- البرغوثي، مريد، الأعمال الشعريّة الكاملة، القاهرة، دار الشروق للطباعة والنشر،2013م.

٨- تأبّط شراً، الديوان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1984م.

٩- جوزف، حرب، كتاب الدمع، بيروت، طباعة رياض نجيب الريس،2002م.

١٠- حسن جعفر، نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، بيروت، رشاد برس، 2007م.

١١- الشنفرى، ثابت، الدوان ومعه مجموعة لشعر السليك بن السلكة وعمر وبن براقة، إعداد وتقديم طلال حرب، بيروت، دار صادر،2007م.

١٢- شوقي، ضيف، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، ط27، 2007م.

١٣- صالح، الغفيلي، شعراء ماتوا جوعاً، بيروت، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، 2003م.

١٤- صلاح الدين، الهواري، شعراء المهجر، بيروت، مكتبة الهلال، 2009م.

١٥- عادل الأسطة، أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، دمشق، مؤسسة فلسطين،2008م.

١٦- عبده، بدوي الشعر والشعراء في السودان، عالم المعرفة- نورالدين، حسن جعفر، موسوعة الشعراء الصعاليك، بيروت: رشاد برس للطباعة والنشر، 2007م.

١٧- عبد الرحمن، عثمان، الشاعر البائس عبد الحميد الديب، مصر، مطبعة المدني، د، ت، منتديات مكتبة العرب.

١٨- عبد العزيز، المقالح، الأعمال الشعريّة، القاهرة، مكتبة مدبولي، د، ت.

١٩- عبد العزيز، المقالح، الديوان، بيروت: دار العودة، 1986.

٢٠- عبد عون، موسوعة الشعر الجاهلي، عمان، دار أسامة، 2001م.

٢١- عمر فاروق، الطبّاع، الرفض في الشعر العربي المعاصر، بيروت، مؤسسة المعارف،2006م.

٢٢- غازي، طليمات، وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، دمشق: دار الفكر،2007م.

٢٣- المفضل، الضبّي، الديوان، طبع كار لوس يعقوب، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين،1920م.

٢٤- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8 ،2005 م.

٢٥- القرشي، أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1999م.

٢٦- المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار الشروق، 1973م.